حرية التعبير .. مشهد قرآني

لما أمر الله جل في علاه نبيه موسى – عليه السلام – أن يذهب إلى فرعون المستكبر داعياً مبلغاً رسالة الله ... (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) طه (24) . رد موسى – عليه السلام – بأدب نبوي جم ، معبراً بحرية أمام الحضرة الإلهية العلية عن أمرين :

– تخوف يختلج في نفسه (قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ) (وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ) الشعراء (12- 14) .

– و كما عبر مقترحاً ما فيه الصلاح والخير للدعوة والرسالة – فيما يرى – (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ) القصص (34).

فجاء الرد الإلهي – بكل معاني اللطف والكرامة –:

* معطياً له ما أراد وما اقترح (قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ) القصص (35) ،

* مؤمّناً له من كل مخاوفه وهواجسه (قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى) طه (23) . حتى يستطيع تأدية الرسالة على أكمل وجه أمام طاغية أرهب الناس واستخف بهم واستعبدهم .

إن الرسالات السماوية لم تأت لكبت الإنسان وتقييد فكره وحريته وقتل الإبداع لديه – كما يزعم دعاة الإلحاد – بل على العكس تماماً..أطلقت له قدراته وإبداعاته ووجهته نحو الخير والصلاح

إنه حقاً لمن المذهل أن نشهد في هذا العرض القرآني لهذه القصة – الأكثر وروداً في القرآن – ما يمثل حرية التعبير بكل ما فيها من معان وأبعاد و إيحاءات و رقي، لقد أذن الله – جل جلاله – لنبيه في مقام التكليف بالنبوة وأمانة الرسالة أن يعبر ويقترح ويراجع ويخاطب بما في ذلك من المصلحة لخيري الدين والدنيا.

إن هذا المشهد – وغيره في القرآن – يعرض بصراحة ووضوح مدى التشريف الذي حبا الله به الإنسان، بأن وهبه من حق حرية التعبير، ما يحفظ به كرامته وقيمته ووجوده، و يستثمره لما فيه عمارة الأرض وصلاحها .

إن الرسالات السماوية لم تأت لكبت الإنسان وتقييد فكره وحريته وقتل الإبداع لديه – كما يزعم دعاة الإلحاد – بل على العكس من ذلك، فقد أطلقت له قدراته وإبداعاته ووجهته نحو الخير والصلاح .